إشكال

ألفريد بصبوص وطريق النحت

لم نستطع مقاومة رياح أيلول التي تحملنا كل عام إلى راشانا. إنها واحدة من المحطات التي تغلب فيها العاطفة العقل. نعم، لم تصلنا دعوة إلى حضور سيمبوزيوم هذا العام، إلا أننا استسلمنا للعادة، ونحن نتساءل: هل توقّف هذا السعي الجديد الذي حمله إلينا ألفريد بصبوص وإخوته، وطوبوه تقليداً لبنانياً تضج به صيفيات مدنٍ وقرى وقلاعٍ وجبال، على مدى إحدى عشرة سنة مضتْ من تاريخ لبنان الفني.

ماذا حدث لألفريد حتى تلكأ هذا العام عن متابعة رسالة النحت في لبنان التي حملها على أجنحة قلبه؟ ما الذي جرى حتى انقطعت طريق النحت الدولية إلى راشانا وتفرّق عشّاق الغبار؟

كنا أنا وزميلتي في جريدة «النهار» لور غريب نقيس المسافة معاً إلى قرية النحت اللبنانية، كلما اقتربنا أكثر بدت ملامح ألفريد أكثر نصوعاً وصدقاً. نمشي كأن شريط الصور يسحبنا خلفه، أو كأن العجلة التي تقلنا، هي عجلة السنين التي اكتنزت بمعرفة ذلك الرجل، الذي يحب أن يتفنن في أسر قلوب عارفيه.

ها نحن أتينا يا ألفريد، من دون دعوة، ومن دون موعد، ومن دون أوراق وأقلام. نحمل سؤالاً واحداً متلعثماً عن سبب هذا الهدوء المضجر في القرية، وسبب غياب اللغات الأجنبية التي كنت تداري أمر انصهارها لتشكل عَلَماً جديداً للإنسانية.

لا نريد أن نحيّيك على أمر مضى، وعلى إنجاز تحدثنا عنه كثيراً في حينه. لكننا لا بد أن نحييك على هذا الاستنفار الدائم الذي تبديه لمواصلة المسيرة. كنا نخبئ خوفنا على صحتك خلف وجوهنا، ونداري طبق الكلمات الذي نقدمه إليك. ربما كانت الزميلة لور أكثر مني خبرة في تدبير مثل هذه الأمور.

لا بد أن نصارحك، أننا كنا نجلس على خشيتنا من أن يكون انحراف في الصحة هو الذي سبّب هذا الفراغ الذي تتلاطم فيه شكوكنا، لكن المسألة انكشفت بسيطة وحميدة، وأنك أخجلت المرض، فتراجع موجه عن حدود جسدك، وها وجهك يورق من جديد، ويعدنا أن تكون مرة أخرى ذلك الشاب الذي يحيي أعراس راشانا، بحركته اللبقة التي تسبق تعابير لسانه، وبصيحة قدميه، التي تسبق الآخرين إلى حلبة الرقص، وبكرمه الذي حوّله بستاناً طيباً للعابرين، وأولاً وآخراً بسيمفونية إزميله التي حفرت تاريخه النظيف.

إذاً، سوف نطوي ارتيابنا وخشيتنا، ونشطب كل علامات الاستفهام، ونبتسم من القلب، لأن ألفريد بصبوص سوف يعاود مسيرته، بعد تلك الاستراحة القسرية، وقد وعدنا أن يستقبلنا العام المقبل وسط غبار إبداعات راشانا، وطبعاً، بقلبِ طفلٍ يلهو في دنيا الفن، وبخيال مبدع.

ألفريد.. سامحكَ الله على هفوة جسدك، وسامحناك لأننا لم نجد غباراً نستحم به هذا العام، وإلى لقاء أجمل في العام المقبل.

أحمد بزون